حول معرفة المستقبل أو معرفة الغيب[1]

السؤال

في التعليم اللاهوتي لا يعرف المســتقبل ولا يعرف الغيب، إلا الله وحده. فماذا نقول عن أشخاص ينبئون عن أشياء تحدث في المستقبل ويصدق قولهم؟! كـذلـك هـل يمكن للشــيطـان أن يخبر عن أمور تحـدث في المســتقبل؟ وأيضًــا ماذا عن النجم الذي أنبأ المجوس عن مكان المذود حيث وُلد الطفل يسوع (أقصد دلَّهم عليه)؟

الجواب

1. لا يعرف الغيب أو المســتقبل إلا الله وحده. ولكن البشــر قد يعرفون شــيئًا، بطريق الاجتهاد وليس اليقين. بواســطة الذكاء أو الفراسة أو العلم.

فعلماء الأرصــاد قد ينبئون عن يوم مطير، أو يوم حار. ويحدث هذا فعلًا عن طريق رصــدهم - بأجهزتهم - لرياح محمَّلة ببخار الماء، أو رياح قادمة من منطقة حارة جافة.

وقد يقول الطبيب المعالج لمريض في حالة خطرة، إنه لم يعد له في الحياة ســوى يومين أو ثلاثة على الأكثر ثم يموت. ويحدث هذا فعلًا، عن طريق متابعته لســير المرض وعدم القدرة على إيقاف نتائجه المتوقعة. هذا علم، وليس نبوءة بالمستقبل أو معرفة الغيب.

كذلك قد يقول مدرس قبل موعد الامتحان بفترة أن تلميذًا ما سيرسب. وذلك لمعرفته بالمســتوى الضــعيف جدًّا لهذا التلميذ. ويرســب التلميذ

---

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث – بمجلة الكرازة – السنة الخامسة والعشرون – العددان 45، 46 (5-12-1997م)

فعلًا. ويكون هذا توقعًا لحالة ملموســـة، لا بد أن تنتهي إلى هذه النتيجة. ولا تكون تلك نبوءة أو معرفة بالمستقبل.

2. إن النبوءة أو المعرفة بالمســـتقبل تختص بأمور خارجة عن نطاق الفراسـة والاسـتنتاج والذكاء والنتائج العلمية. وتكون بوحي من الله لأحد من أنبياء الله أو من خاصته المقربين.

أما إذا قال أحد خبراء السياسة أن دولة بعينها، إن دخلت الحرب ضد دولة أخرى معينة، فسوف تنهزم.. فلا تكون هذه نبوءة، وإنما دراية سياسية.

كذلك ما يتوقعه رجال العلم من حدوث براكين أو زلازل أو ســـيول في مناطق معينة، ويحدث ذلك فعلًا، فلا يكون هذا لونًا من معرفة الغيب. لأنه ليس غيبًا بالنســـبة إليهم، إنما هو حقيقة علمية معروفة، بناء على دراسات تؤدي إلى نفس النتيجة.

وبنفس المنطق ما يقوله بعض رجال الزراعة عن موعد الإثمار أو النضوج لأشـــجار أو نباتات معينة، ويتم هذا في حينه، فلا تكون هذه نبوءة، بل هو علم.

3. أما الذين يدَّعون معرفة الغيب، كضـــارب الرمل، أو قارئ الفنجان، أو فاحص الكف، أو عارف المســـتقبل عن طريق الأبراج والنجوم وما أشبه، فكل ذلك ادِّعاء وليس نبوءة.

وكثير من هؤلاء يتكلمون عن عموميات، أعني أمورًا يمكن أن تصـــادف أي إنسـان، دون تحديد. فإن حدث شـيء منها، يكون عن طريق الصـدفة. كأن تقول لك (قارئة الفنجان): أمامك شـخصـان أحدهما طويل والآخر قصـير، احترس من أحدهما فهو يريد أن يضرك...!

كذلك من جهة الأبراج يقدمون لملايين الناس من اثني عشـــر برجًا. أي أن عشرات أو مئات الملايين ينطبق عليها حظ واحد.

ففي مصر مثلًا أكثر من ستين مليونًا. فهل كل خمسة ملايين تقريبًا، لهم حظ واحـد في نفس اليوم؟! على الرغم من اختلاف الظروف والعقليـات، واختلاف العمر...!

ومن جهة النجوم صَدَق المثل القائل: كذب المنجمون ولو صدقوا.
أما عن النجم الذي قاد المجوس، فلم يكن نجمًا حقيقيًّا.

ولا كان المجوس من المنجمين..

وقد شرح القديس يوحنا ذهبي الفم هذا الأمر بوضوح في تفسيره لإنجيل متى. فقال: "إن نجم المجوس كان قوة مُرسَـلَة من الله لهدايتهم، ولم يكن نجمًا طبيعيًّا"؛ ذلك لأن النجم العادي يتحرك من الغرب إلى الشـرق. أما نجم المجوس فكان آتيًا من الشـرق إلى الغرب، من بلاد الفرس إلى الأراضـي المقدسـة. كذلك كان نجم المجوس يقف حينًا ويتحرك حينًا آخر حسـب سـياسـة معينة. فقد وقف عند دخولهم أورشـليم لأخذ معلومات من هيرودس أو الكتبة والفريسيين، وتحرك لما غادروا أورشليم.
أيضًـا وقف النجم حيث كان الصـبي. لأنه لو بقي في علوه كسـائر النجوم، لما عرفوا موضـع المذود، فالكواكب والنجوم نراها فوقنا حيثما كنا دون أن تشير إلى مكان معين.
لذلك فإن الله تبارك اسـمه، لما رأى طيبة قلب المجوس وحسـن نيتهم، وهم علماء في الفلك، اجتذبهم بقوة من عنده على هيئة نجم عظيم في بهائه، غريب في تحركه، فجذبهم إليه حتى رأوا الرب يسـوع. من أجل هذا، فإنه في رجوعهم لم يشـأ إرشـادهم بنجم، بل في حلم لأن مسـتواهم الروحي كان قد ارتفع بعد أن أخذوا بركة رؤية المخلص...

4. أما عن الشيطان ومعرفته كروح فلنا على ذلك ملاحظات:

أ. هو كروح له شفافية أكثر من البشر، ومعرفة أكثر لا يعوقها ضباب من جسـد كما يحدث مع الإنسـان. فهو يمكن أن يسـتنتج من ملامح الإنسـان ومن نبرات صـوته ومن نظرات عينيه، ما يمكن أن يكون داخله من فكر أو نية، وذلك استنتاج فقط.

ب. كذلك يعرف ما يُدخِله هو في عقل الإنسـان من أفكار، بعضـها حروب أو إغراءات.. وإن كان القديس بولس الرسول قال عن الشيطان: "لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ"(2كو2:11)، فمن باب أولى هو أيضًـا قد لا يجهل

أفكارنا. ليس كفاحص للقلوب والأفكار! حاشا. بل هو استنتاج فحسب. نقطة أخرى نقولها من جهة السؤال عن معرفة الشيطان للمستقبل.

ج. هناك أشـــياء قد يقولها الشـــيطان عن المســـتقبل. ولا تكون بالنسبة إليه في حكم المستقبل، بل في حكم الماضي.

فقد يقول لك: ســيصــلك خطاب في البريد بعد يومين مثلاً فيه كذا وكذا ويصــدق هذا الأمر. ولكن في الحقيقة يكون هو قد رأى هذا الخطاب وقت كتابته وحسب مدة إرساله في البريد وقال إنه سيصل بعد يومين بما فيه من أخبار. وكان ذلك في حكم الماضي بالنسبة إليه..

وقد يقول لك فلان مريض بكذا، وأدخلوه مســـتشـــفى كذا، ويكون هذا صـــدقًا، ولكنه ليس غيبًا، إنما هو واقع رآه. والفرق بينك وبينه في هذه المعرفة، هو أنه روح خفيف (أصله ملاك، يمكن أن يتحرك في لمح البصر - حسب طبيعته - من مكان إلى مكان، ويخبر بأمور آتية، تكون بالنسبة إليه أمورًا ماضية).

وما يدركه الشيطان بهذا الأسلوب، يمكن أن يُوحَى به لبعض البشر (من أعوانه غالبًا، ومن يريد ضمهم إليه) فلا تظن كلامهم نبوة.

بهذا الأسلوب وبغيره، سوف يساعد ضد المسيح الـــ Anti-Christ الذي ســـيأتي في آخر الزمان، ويؤيده "بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ، وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ"(2تس2: 9، 10).. فالشـــيطان لا يعرف من المســـتقبل إلا ما يمكنه اســـتنتاجه، أو ما يراه في الماضـــي القريب آتيًا، ويخبر به أنه سيأتي...

د. ومع ذلك قد لا يصـــح ما يقوله الشـــيطان وتكون (معرفته) غير يقينية.

فالخطاب الذي قال إنه سيصل قد لا يصل ويضيع في البريد، والمسافر الذي قال إنه سـيأتي، قد تعوقه أسـباب عن المجيء بعد أن بدأ إجراءاته.. فإما أن يخجل الشـيطان، وإما أن ينبئ بأسـباب التعطيل! والخاطئ الذي قال إنه ســـيذهب إلى الجحيم قد يتوب في آخر يوم في حياته، كاللص

اليمين. أما معرفة الأنبياء، فهي بالوحي، وليسـت بالاسـتنتاج أو التخمين. كذلك هي معرفة يقينية تتم كما يقولون.